11 me Année No. 530

Lundi - 30 - 8 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٣٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

١١ ٥ ٢١

عند ما رأيت الله جهرة

للأستاذ درينى خشبة

تحدث إلى أحد أصدقائى قال :

كانت أربعون ليلة من ليالى سيناء قد مرت على قلبى المضطرب الممزق وأنا لا أنفك أحملق فى ذلك الشبح المفزع ... شبح ملك الموت عليه السلام ! إذ هو يُلم بالحجرة الرهيبة التى كنت أحبس فيها نفسى لأُمرض أعز المخلوقات علىّ وأحب الناس إلى قلبى ؛ وذلك أن الطبيب المعالج لم يأمن أحداً غيرى على رعاية أوامره وتنفيذ إرشاداته ، فانفردت بالمهمة دون إخوتى ، واضطلعت بها وحدى ، وإن كانت إحدى أخواتى تريحنى ساعة من نهار ، فكنت أقضيها نائماً ذلك النوم المشرّد الممتلىء بالأحلام

وكنت دائم الصلاة لله أن ينقذ والدتى ، وكنت أدهش أحيانا كيف لا يجيب دعائى ... وكنت أعتب عليه ، أستغفره وأتوب إليه ، كيف يقضي على هـذا اللسان الذى طالما لهج بذكره ، وقدّس له ، وحمده وأثنى عليه ، بهذا الصمت الطويل المؤلم الذى كان يحاول أن يتشقق عنه كى يكلمنا ، فما يستطيع غير الإيماءة النحيلة يوزعها علينا فى جهد وفى عناء ... الإيماءة التى تسبح فى فيض من الدمع ، وهى مع ذلك تبتسم لتخفف ما يعصف بأفئدتنا من وجد ، وتهوّن علينا ما يذيبنا من تبرح أجل . لا أخفى عليك يا صديقى أننى كنت أشتد فى مناشدة

الله الذى أستغفره وأتوب إليه ؟ كيف يرضى بأن ينعقد هذا اللسان الذى طالما ترطب بذكره والتسبيح له ، والذى قضى خمسين عاماً يؤدى الصلوات الخمس كأحسن ما يؤديها نبى ، وكأحسن ما يقوم بها صدّيق ؛ وهو مع ذلك يؤدى النوافل على اختلاف أنواعها ، ويردد الأدعية والأوراد ، ويتهجد ويعتكف ويصوم رمضان وغير رمضان ، ويعف فلا ينطق بهجر ، ويتورّع فلا يتحرك بأذى ، ويدعو لنا ولجميع الناس بالخير ، ويرتل آى الذكر الحكيم آناء الليل وأطراف النهار ... فكيف يصمت هذا اللسان الرحيم الكريم ، وكيف يغلبه ذاك الشلل الخبيث فينوء بالكلمة الواحدة ويعجز عن لا ونعم ، ومن حوله أحباؤه الأعزاء عليه يكلمونه فلا يكلمهم ، ويحاول أن يودعهم بكلمة واحدة فلا يستطيع إلى تلك الكلمة الواحدة من سبيل ، وأنا مع ذلك أدعو الله وأتوسل إليه بماضى هـذا اللسان أن يفك عقاله ، وأن يحسن حاله ، ثم يغشانى منه ما يشبه الليل البهيم ، والأشجان تتشيع ببرودة القبور فى عروقى !

عجيب والله هذا الموقف من الأبالسة التى وقفت تترصد فؤادى ، وتغرى بالموبقات روحى ، وتداعب إيمانى فتهزه ذلك الهز العنيف القاسى !

ألم تعد فى السموات رحمة ؟ أهكذا تكون خاتمة ذاك اللسان الرطب الكريم ؟ وأين إذن قدرة الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؟ وما ذا وراء هذا الوجود الذى يكظ ويزحم السموات ، ويملأ الدنيا والآخرة بما نعجز عن تعليله فتتهم عقولنا بالقصور ، ونعترف ضعفاء مخذولين بوهن أفهامنا عن إدراكه والنفاذ إلى كنهه ؟!

وهكذا كانت الأبالسة ترقص فى رأسى المحزون ، وتوسوس فى قلبى المضطرب ، وتهتف فى أذنىّ الحائرتين ... وكنت أحاول أن أصرفها عنى فلا أستطيع ، بل كنت أتهم نفسى وأنا أحاول ذلك بالنفاق ، وأرميها بالرياء الدينى المصطنع ، وكان غرورى يأبى لى أن أكون منافقاً أو مرائياً

وسمعت أعز الأمهات تعالج فى صدرها شهقات وزفرات ، فأسرعت إلى سريرها وبى أنها سكرة الموت ، فأسندت الرأس الكريم إلى صدرى ، وتناولت كوباً من الماء به قطرات من الدواء فوضعتها قريباً من شفتيها ... ولكنها لم تحسُ من الماء حسْوة ! بل نظرت إلىّ بعينين تترقرق فيهما دموع الحنان ، فرحت أكلمها على عادتى كلاما كله ضحك يخنقه البكاء ، وكله فكاهة تلبس أردية الحزن القاتمة !

لشد ما تخنقنى عبراتى وأنا أحدثك بهذا أيها الصديق !

لقد حدث هذا منذ عشر سنوات ، فلم أخط فيه حرفاً ، ولم أحرك به لسانى لمخلوق ... ولولا أنك جادلتنى فى الله لآثرت أن أطوى عليه قلبى إلى الأبد ...

لقد كانت الأبالسة تأخذ علىّ مشاعرى فى تلك اللحظة ، وكانت تجمع أدلتها ضد السماء فى ثورة جارفة ... وكان فؤادى يتمزق كلما ذكرت أن أعز الأمهات ستقضى دون أن تودعنى بكلمة .

بيد أننى سمعت كلاماً عنيفاً يتردد فى صدرها ، فلما أدنيت أذنى من فمها ، إذا هى تردد هذه الكلمة العظيمة الخالدة :

« الله ! الله ! الله ! »

فلما استيقنتها أخذ العرق يتصبب من جسمى كله ، وعرتنى رجفة قوية لم أبْلُها من قبل ... ثم ذكرت أبالستى . ولما أدرت وجهى من حولى ، رأيتهم ... رأيتهم رأى العين ... كاسفى البال ، شاحبى الوجوه ، وقد أخذوا ينفذون من جدران الحجرة الصماء ، وكان الضعفاء منهم يثبون من النوافذ المفتحة ... حتى لم يبق معنا منهم أحد قط !

لقد كانت هذه لحظة من لحظات الإيمان التى انتشلت روحى من ظلمات الأبالسة ...

لقد كانت من أسعد اللحظات فى حياتى !

لقـد كانت بارقة الأمل التى بدت لى فى تلك الصحراء المهلكة من الشك الذى ران على قلبى وتغلغل فى أعماق !

وقد زادها روعة وجمالاً وعظمة ذلك الصوت الناعم الباغم المصقول الذى أرسله المؤذن يشق هـدأة الفجر :

سبحان الكريم الحليم الفتاح ...
سبحان من شق الفجر فلاح ...

لقد أفاقت أعز الأمهات من سكرة الموت عند ما طرق سمعها ذلك النداء الحبيب الذى لبَّته هذه السنينَ الطوالَ ، فكانت تتجافى عن المضجع الدافئ فى الشتاء ... شتاء شمال الدلتا القارس ... كما كانت تتجافى عنه فى الصيف ، لتجيب دعوة ربها الكريم الفتاح ، فتتوضأ بالماء الذى يشبه الثلج ، ثم تلتفع بتلك « الغطفة » البيضاء الناصعة التى تجملها فى هيئة الملائكة ، ثم تكبر ، ثم تأخذ فى صلاتها الهادئة الساكنة المطمئنة ؛ حتى إذا سلمت أخذت تدعو ربها لنا جميعاً بالخير ، ولزوجها الراحل بالرحمة !

يا ويح لى يا صديقى !

لقد كنت أنام معها فى ذلك المصلى نفسه فى سرير مقابل سنين عدداً ... وكنت أستيقظ على صلاتها ودعائها ... وكان ابتهالها يصك أذنى صكا ... لكنى كنت مع ذلك لا أتحلحل من مضجعى ، ولا أتأثر قط بتلك الصلوات وهذه الدعوات ... بل طالما كنت أستهزئ بهذا السلطان الدينى العجيب الذى يقتلع تلك العجوز من مضجعها فى مثل ذاك البرد ، لتتوضأ ولتصلى وتناجى ربها ...

ما كان أبدع صوت المؤذن وما كان أرقه !

لقد كان صوته العذب يجلو الصدأ عن روحى الآثمة ... تالله لقد كان صوت « الشيخ بكرى » رحمه الله ، هو صوت الله ، أليست أرواحنا من روحه تبارك وتعالى !

ورفّت ابتسامة حزينة على الثغر المحتضر !

ثم استطالت تلك الابتسامة ، وأَرْوَتْها دموع الموت التى كانت تؤجج فى أضالعى جمرات الحزن ... وكنت فى أثناء ذلك أتكلم بكلام لا أذكره . وربما كنت أهذى

ثم أسندت رأسها على الحشية ، واستأذنتها فى أن أدعو إخوتى ، فأشارت برأسها أن لا ! ففهمت أنها لا ترى إزعاجهم بما يعتريها الآن من حشرجة ... ومن يدرى ... فربما آثرت أن تصعد روحها فى غير ضجة ... ومن يدرى ؟ فربما آثرت أن تنتشلنى بهذه الخلوة المقدسة والسكينة السابغة مما كانت تعلم أننى أتردى فيه من ضلال وزلل ، وفساد فى معتقدى وخطل !

أليست كانت تلح على أن أهتدى فكنت أسخر منها

ألم أحل بينها وبين الحج إلى بيت الله بحجة أننى أحق بنفقة هذا الحج ، وهو كان أملها ومتمناها ؟ !

ألم تكن قد فرغت من شئون الحياة كلها إلا من شأنى ؟

... وكان جحودى يتعاظمها ويشق عليها ، فكانت تلجأ إلى فطرتها السليمة البسيطة التى لم تتلفها الفلسفات فى الرد على ، فتربكنى بهذا السؤال البسيط الذى تتخبط الفلسفات كلها فى الإجابة عنه : ومن أوجدك وأوجد هذا العالم ؟ ومن يسهر عليك وعليه ؟ ألم تفكر قط فى نفسك ؟ ما هذه الجارحة الصغيرة — وتشير إلى موضع قلبى — التى تخفق بالحب وتجيش بالأمل وتفيض بالخير ، والتى تربط الأسر وتخفر الذمم وتسمو بالإنسانية وتبنى اللاجئ وتنشئ المستشفيات وتطعم الجائع وتنجد المضطر وتغيث اللهوف وتحرك الأيدى بالعطاء وتذيب الدموع فى المحاجر ، وتبسم فتبسم الحياة ، وتعبس فتعبس الدنيا ، وتبصر فيبصر السلام ، وتعمى فيعمى العالم وتممه نيران الحروب ؟

أليس بحسبك يا بنى أن تكون تلك الجارحة برهاناً على وجود هذا الإله القادر الذى تنكره وتمارى فيه ؟

ثم أنا ... ثم أبوك يرحمه الله ... ألم تفكر فى صيرورتنا بعد الموت قط ؟ ألا يعز عليك أن نموت فنصير إلى عدم فلا نلتقى أبداً ؟ ! أليس أخلق أن تؤمن بما تقوله لنا السماء ؟ أليس أن نلتقى هناك ... هناك ... فى تلك الجنة التى عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ؟ أليس أحجى أن نلتقى ثمة بين يدى اللطيف الحميد ... الجنة التى لا موت فيها لهذا الموت ، ولا فقر ولا مرض

ولا جوع ولا شره ولا بوائق ؟ ... الجنة الوارفة الظلال التي تلتقي فيها الأرواح السعيدة بعد هذا السفر الممل والغياب الطويل والنوم الهامد الخامد ... الجنة الجميلة الخالدة التي لا تذبل فيها زهرة ، ولا يظمأ فيها عصفور ، ولا يحسد فيها فقير ، ولا يعيش فيها بائس ، ولا يشقى في رحابها يتيم ، ولا يكنز المال فيها قارون ، ولا يطالب فيها شيلوك برطل من لحم المدين ، ولا يقتل فيها عباد الأصنام أنبياءهم الصالحين !

إن الله يا بني هو المثل الأعلا فلا يصوره لك ضلالك هولة أو غولاً أو وحشاً أو سعلاة . . . إن الذين يخافون الرحمن كما تخاف الجن والسعالي ، ويخشونه كما يُخشى القتلة والسفاكون ، هم غير جديرين بعبادته ، غير خليقين أن يعرفوه ، غير أحرياء أن يهتدوا بنوره

إن الخوف من الجن والسعالي لا يعلم فضيلة ، ولا يحض على خير ، أما الخوف من الله فيرفع الإنسانية إلى مثله الأعلا ... إلى الكمال الذي لا يعرف الغرائز الدنيا

إحذر يابني أن تحسب عقلك أوسع من الدنيا أو أكبر من الله ! إن الجديد الذي يكتشفه بنو الدنيا من أسرارها كل يوم حريّ أن يقتلع من نفسك الغرور ، ومن روحك الكفر ، ومن قلبك الضلالة

آمن بالله يا بني ولا تكن لي خزياً بين يديه يوم القيامة !

هكذا كانت تجادلني أعز الأمهات يا صديقي ، وهكذا كانت تنصح لي ... فلما رأيت الأبالسة تولي وتنور في الجدران والنوافذ ، ولما رأيت الحجرة المباركة تخلو إلا مني ومن الأم المحتضرة ، خيل لي أن كل نصائحها تتردد في مسمعي ، وخيل لي أنني أراها ألف ألف مرة وهي قائمة تصلي في هدأة الفجر ، وعليها (غطفتها) الناصعة ، وخيل لي أنني أسمعها وهي تدعو الله لي ولأخوتي ، ولزوجها الراحل

ثم سكت المؤذن الجليل لحظة ، ثم نادى :

الله أكبر ... الله أكبر ...

فوالله يا أخي لقد سمعت قلبي الذي أخذته رجفة هائلة يردد ما أذن به الشيخ بكري عليه رحمة الله

ووالله يا أخي لقد تلفت حولي فتخيلت الملاك الكريم في أجمل صورة يستطيع أن يتخيلها فنان وهو باسط يديه ، وقد رفت على فمه ابتسامة الإيمان التي سلحه بها ربه ... الملاك الكريم النوراني الذي كنت أحسبه تنيناً هائلاً مفزعاً ...

وانحنيت أقبل الجبين الذي ظل يقبل الأرض بين يدي الله خمسين عاماً ، ولما رفعت رأسي ، إذا نور له بهر شديد يملأ الحجرة المقدسة ، وإذا يد كريمة تلمس صفحة فؤادي ... وإذا المؤذن الجليل يملأ الدنيا بهذا النداء الرائع ، يختم به أذانه

الله أكبر ... الله أكبر ...

فهلا آمنت ؟! قلت : آمنت بنور السموات والأرض .

دريني خشبة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

بين القاهرة وبغداد — في رياض الزمالك — سهرة روحية — لمحة وجدانية — طبائع الأرض المصرية والعراقية — بين سنتريس ولبنان — أشجاع وأغاريد — منظر طريف — ماذا دها القمر — فائدة لغوية وتاريخية — مروءة مصرية

بين القاهرة وبغداد

سنحت فرصة ثمينة ، وما كنت أنتظر أن تسنح ، فقد ألفنا بُخل الأيام وشُحّ الليالي ، ورُضنا النفس على اليأس من كرم الزمان

وتلك الفرصة هي لقاء الأستاذ طه الراوي في القاهرة بعد فراق طال ثم طال ، وبعد شوق لا يصوره القلم ولو جال ولو صال

قال الأستاذ الراوي عند التلاقي : ماذا أصنع معك ؟ وكيف أجازيك ؟ أنت تعلن شوقك إلى إخوانك في مجلة الرسالة فيصل صوتك إلى الشرق والغرب ، وأنا أضمر شوقي فلا يصل إليك منه قَبَس ، ولو أني عبّرت عما في نفسي لقلت إني لم أجد أحداً غيرك يفوقني في الوفاء

كذلك كان الحديث عند لقاء الأستاذ طه الراوي صديق مصر الحميم ، والرجل الذي لا ينساه من يراه ، ولو طال البِعاد

تلاقينا وتسامرنا ، وقال وقلت : أين الأستاذ الزيات ليتمّ أنس الحديث ؟ فقد سأل الأستاذ الراوي مرات عن الأستاذ الزيات ، وكان يشتهي أن يراه ليتحدث معه في شؤون من شواجر الأدب القديم والجديد ، ورجاني أن أبلغه التحية إن لم يستطع رؤيته قبل الرجوع إلى بغداد .

في رياض الزمالك

عرفت من المفوضية العراقية أن الأستاذ الراوي يقيم بفندق الكنتننتال ، فطلبته بالهتّاف ، فردَّ صوتٌ محبوب هو صوت السيد خالد الشوربجي ، فعجبت من هذه المصادفة الغريبة ، وسألته عن الأستاذ الراوي فقال : تجده بكلية البنات في الزمالك ، ثم قال : ومِن الأستاذ الزيات ؟ فقلت : تجده في كلية الزراعة على شاطئ بحر شبين !

مضيت في المصرية إلى الزمالك ، فكيف رأيت الزمالك ؟

إني لمفتون بتلك البقعة التي يطوّقها النيل من أربع جوانب ، وإني لمفتون بما فيها من قصور وبساتين ، وإنها الروضة من أنضر الرياض

أين الشاعر الذي يصوّر جمال الزمالك ؟

وأين الروح الذي يدرك معاني تلك الجزيرة الخضراء ؟

لن ينقضي فتوني بتلك الروضة المُهندَمة بأروع وأظرف ما تجود به الفنون ، فالزمالك تُرى وكأنها صُبَّت مرة واحدة في لحظة من لحظات الصفاء

لا تجد بيتاً يُبنَى ولا بيتاً يُهدَم ، ولا ترى إلا سبيكة مقدودة من ضمير الحُسن الأصيل

هذه كلية البنات بشارع محمد أنيس ، وهذا بابها العالي ، فما أسعد بلداً يكون لبناته حظ التعلم في مثل هذا المكان البهيج !

وأخطو خطوة فأجد الأستاذ الراوي في انتظاري ، وأجد معه الأستاذ عبد الجبار الجلبي ، وأجد وجوهاً عراقية في سُمرة النيل عند الوفاء

وأقول بعد التحية : جئت أدعوكم لزيارة سنتريس ، فما يجوز لمن يزور مصر أن يغفل زيارة سنتريس

فيقول السيد عبد الجبار الجلبي وهو يبتسم : إن مَثَل من يزور مصر ولا يزور سنتريس مَثَل من حَجّ ولم يعتمر ، وقد يكون حاله حال من اعتمر ولم يحج ، فلا بد من زيارة سنتريس

سهرة روحية

وبعد لحظات يتفرق الجمع ، لأن لجمهور الحاضرين مآرب من رؤية القاهرة بالليل ، وأنظر فأرى الأستاذ طه الراوي سيبقى بلا رفيق ، فأقرر البقاء لمسامرته إلى أن يعود الرفاق

قلت : أيسمح سعادة الأستاذ أن نخرج فنرتاض على ضفاف النيل ؟

فقال : أنت النيل ، ثم أنشد قول المتنبي :

مِن عَبيدي إن عشت لي ألف كافو
ر ولي من نداكَ ريفٌ ونيلُ

وانطلق فقص قصة المتنبي بعد أن رحل عن مصر ، قصها بصورة خلابة كأنه كان رفيق المتنبي حين فارق مصر فى ليلة عيد

وخلاصة القصة أن المتنبي كان يعلق آماله على « فاتك » وكان فاتك يريد السيطرة على الصعيد ، فبث كافور ألوف العيون ليعرف من أحواله كل شيء ، وكان المتنبي يعرف هذه الحقيقة ، فكان يخرج بحجة الحرص على ترويض حصانه ليلقى فاتكاً فى مكان مجهول ، ثم هلك فاتك فلم يبق للمتنبي غير الرحيل ، ولكن إلى أين ؟

رحل إلى الكوفة ، وهى وطنه ، ولعله كان فيها من الفقراء ، فأرسل إليه سيف الدولة هدية يستعين بها على العيش ، فرد المتنبي بقصيدة منها هذا البيت :

رِمن عَبيدى إن عشت لى ألف كافو
رِ ولى من نداك ريفٌ ونيلُ

ومضى الحديث فى شجون مصرية وعراقية ، فكان من ذلك دليل جديد على الثقة الموصولة بينى وبين هذا الرجل النبيل

— إحكِ ، إحكِ

وماذا أحكى ؟

أنا تعبت من الحكى ، فاحكِ أنت

— ميعاد الحكى فى سنتريس

وخرجت أبحث عن سيارة بعد انتصاف الليل وأنا فى نشوة روحية قليلة الأمثال

رياض الزمالك وأحاديث الراوى فى ليلة واحدة ؟ تبارك من جعل هذه الحظوظ من نصيبى فى أوقات قل فيها الظفر بأطايب الحياة .

لمحة وجدانية

وقفنا على جسر الريّاح المنوفى بالقناطر الخيرية لحظات ، فقلت للأستاذ الراوى : ما رأيك فى أن ننزل فنقطع هذا النهر سابحين إلى أن نلقى الاستاذ الزيات ؟

— إيش لون ؟

— هـذا النهر يسمى هنا بالرياح المنوفى ، وبعد قنطرة النعناعية يسمى بحر سنتريس ، وبعد قنطرة القَرِينَيْن يسمى بحر شبين ، ومنه تستقى مزارع الأستاذ الزيات

— أنتم تُسقون من نهر واحد ؟ الآن عرفت السر فيما بينكم من وفاق

— وهناك وشيجة ثانية

— ما هى ؟

— هى ما يوجب العقل من تلطف الشركاء بعضهم مع بعض ، فأنا أستطيع سد هذا النهر بنبابيت سنتريس

— ولا تخاف الحكومة ؟

— الحكومة تركت هذا النهر فى حراستنا ، فنحن نملك من أمره كل شيء

— أنتم إذاً على استعداد لإساءة التصرف

— ومع هذا لم نسىء التصرف ، رعايةً لمعنى واحد ، هو البر بالصديق ، ولو كان الزيات عدواً لعاملناه معاملة الأعداء ، هذا مع العلم بأن الزيات صديق مضمون

— ما معنى هذه الكلمة الأخيرة ؟

— إن لها معنى ومعانى ، فالصديق المضمون هو الصديق الذى لا يُخشى تغيره بأى حال ، وإذن يجوز التحيف عليه باطمئنان ، فيكون البر به غاية فى الوفاء

— هذا معنى طريف ، ولكنه يحتاج إلى بيان

— بيان ذلك أن من الاصدقاء من ينهاه قلبه وروحه عن مجازاة أصدقائه غدراً بغدر ، وإيذاء بإيذاء . والصديق الذى يكون فى مثل هذه الروحانية يلقى من أصدقائه متاعب ومضجرات؛ فالوفاء بعهده يُعَد أعجوبة فى الحياة الأخلاقية ، وأنا أطمع فى الظفر بأكبر نصيب من مكارم الأخلاق

— نحن نسمع فى مصر كلاماً جديداً

— ولكنه أقل من كلام العراق

— يعجبنى تعصبك لأصدقائك ، يا دكتور مبارك

— ولمن أتعصب إذا لم أتعصب لأصدقائى ؟ لم يبق من الكرم غير حفظ العهد ، وكل ما أخشاه أن يكون حظى من هذا المعنى أقل مما أريد . إن الهجوم على العدو لا يحتاج إلى عناء ، لأنه ينبعث عن ثورة تعين على القتال ، أما ملاطفة الصديق فتَصدُر عن عواطف رفيقة لا تساعد على الاستبسال

لو بذلنا فى ملاطفة أصدقائنا معشار ما نبذل فى محاربة أعدائنا لرضى الله عنا واصطفانا لأشرف الأعمال

الأدب الحق هو أدبك في معاملة من لا تخاف أن يثور عليك

— وهذا أيضاً كلامٌ جديد

— وهو أيضاً من وحي العراق

— طيّبَ الله أنفاسك، يا دكتور مبارك!

طبائع الأرض المصرية والعراقية

في حديقة الدار في سنتريس بَدَتْ الطُّلُمبة أمراً عجبا، فقد دهش الضيوف العراقيون من أن نستقي الماء بلا بئر، فقلت إن هذا يتيسّر في العراق لو أردتموه. فقال الأستاذ طه الراوي: إن البئر في العراق تكون مياهه غاية في المرارة إن بَعُد عن الشط، لأن أرض العراق كثيرة الأملاح

عند ذلك تذكرت عبارة المسيو دى كومنين حين رأى الطلمبة في سنتريس، فقد قال إن هذا يمتنع في الأرض الفرنسية، وإن لم يذكر الأسباب

وعند ذلك فهمت كيف كانت بغداد مملوءة بالأنهار، وهي القنوات التي كانت تنقل الماء إلى المحلات المختلفة بدار السلام، فكل مجرى ماء اسمه نهر عند أهل العراق، ولو كان قناة لا يحتاج عبورها إلى أيسر مجهود، ومن هنا جاز أن نرى في كتب التاريخ أن البصرة كان فيها مئات أو ألوف من الأنهار الجاريات

لو سمعت كلام الأستاذ الراوي قبل أن أكتب مقالي عن «عروس النيل» لكان من الممكن أن أضيف إليه توضيحات، فليكن ما هنا تكميلاً لما هناك

بين سنتريس ولبنان

قال الأستاذ الراوي: للنسائم هنا مَذاقٌ لا نجد مثله في لبنان، فما الذي يمنع من أن تجعلوا بلدكم من بلاد الاصطياف؟

قلت: إن هواء سنتريس أتعب أهل سنتريس

— وكيف؟

— لأنه جعلها مَراداً لأصحاب الأذواق، فهي المُلتقى لأكثر سكان المنوفية، ومن أجل هذا عمّ فيها الغلاء

أسجاع وأغاريد

وعند تناول العشاء سمعنا طيوراً تسجع وتغرّد بأنغام لا يسمع مثلها أهل العراق، فقال الأستاذ عبد الجبار الجلبي: ما هذه الطيور؟ فقال السيد عبد المجيد مبارك: هذه جماعة الكروان تَصدح عند قدوم الليل

وتردد الأستاذ الجلبي في تصديق ما يسمع؛ فقال له الأستاذ الراوي: هذه بلابل تَصدح بأنغام أهل سنتريس!

منظر طريف

حين مررنا بحدائق القناطر الخيرية نبهت رفاقي إلى غابة أبي قردان، وقلت إنه طائر يصادق الفلاح، فيرافقه في الحرث والسقي، ليلتهم ما في الأرض من ديدان، ولهذا يحرم صيده بأمر وزارة الزراعة المصرية

قال الأستاذ الراوي: هـذا اسمٌ عربيّ، فالقُراد يُجمع على قِردان كما يجمع الغلام على غِلمان، ولعل هذا الطائر سُمّي بذلك لأنه يطهّر الأرض من الحشرات

قلت: ومن العجيب أن يكون ملتقى هـذه الطيور البيض في شجرة كريمة بأحد المنازل في سنتريس، وكأنها تقول:

من علّم الورقاء أن محلكم   حَرَمٌ وأنك موئلٌ للخائف

ماذا دهى القمر؟

كانت طلعة القمر طلعة بهية، وكان لألاؤه فوق بحر سنتريس غاية في البهاء، فماذا دهاه قبل أن نقترب من قليوب؟

قال السيد هاشم: القمر مخنوق

فوقفنا جميعاً وتطلّعنا إلى وجه القمر فرأيناه في حال تُشمت العُذّال!

حتى القمر تنال منه صروف الليالي؟!

وتسمّع السيد عبد الجبار ما يقول أهل قليوب ليوازن بين أقوالهم وأقوال أهل بغداد... وتذكرت العبارة المصرية فقلت: «يا بنات الحُور، سيّبوا قمرنا يِنُور»

فقال: إن عبارة أهل بغداد «ياحوتَه يامنحوتَه، طلّعي قمرنا العالي»

وإذن تكون بنات الحُور هي التي تخنق القمر في مصر، وتكون الحوتَه المنحوتَه هي التي تخنقه في العراق(1)

(1) المنحوته في لغة أهل العراق هي المنحوسة

قلت: القمر عندنا معشوق تحتجزه الحوريات، وهو عندكم مأسور بأيدي الحونات المنحوتات، عليهن اللعنات!

فقال السيد عبد الجبار: لقد راعني هدوء الطبيعة المصرية، ففي كل ماء تنق الضفادع بقمقمة مزعجة، إلا ماء النيل

واستطرد الأستاذ الراوي فقال: أراد صوفي أن ينظر معشوقته من ثقب الباب فرآها عارية، ولكنه انزعج حين رأى ضفائرها تحجب عنه جسدها الوهاج، فصرخ:

ياحوته يامنحوته طاهي قمرنا العالي

قلت: وما شأن الصوفي بالأجساد العارية؟

فأجاب: هل نسيت ما قررته في كتاب التصوف الإسلامي؟ ألم تقل إن الحب الحسي قنطرة إلى الحب الروحي؟ ألم تقل إن الصوفية تبنوا أشعار الماجنين فحوّلوها إلى خطرات وجدانية؟

فائدة لغوية

قال سعادة الأستاذ الراوي وقد شربنا القازوزة: إن العرب عرفوا القازوزة، فقلت القازوزة التي نشربها كلمة فرنسية أصلها Gazeuse فما هي في العربية؟ فقال: وردت في قول أحد الشعراء:

أفني تلادي وما جمّعت من نشب
قرعُ القوازيز أفواهُ الأباريق(١)

فقلت: هي القوارير بالراء في المطبوعات المصرية، وهي أفصح لأنها كلمة قرآنية. وبعد لحظة قال الأستاذ: المفرد قاقوزة، فقلت: إذن يكون الجمع قواقيز

وبعد العودة راجعت القاموس فوجدت قاقوزة وقازوزة بمعنى واحد وهو المشربة أو القدح أو الصغير من القوارير، وعلى ذلك يمكن أن يكون البيت رُوي بروايتين

وفائدة تاريخية

قال الأستاذ الراوي: سمعت اليوم تعليلاً أعجبني في تسمية شارع الموسكي، فقد حدثني أحد الأفاضل أنه جاء من الكلمة الفرنسية Mosquée وهي كلمة عربية الأصل معناها المسجد، وسمي الشارع بذلك لأنه يوصل إلى المسجد الكبير وهو الجامع الأزهر

فقلت: الموسكي بفتح السين نسبة إلى مُوسَك أحد أمراء مصر في الأيام الخوالي، وسكنت السين للتخفيف

فضحك الأستاذ الراوي وقال: إذن كان ذلك المحدث من «الأفاضل» بالقول لا بالفعل

مروءة مصرية

رجعنا إلى القاهرة والقمر مخنوق، والظلام يطمس المعالم بميدان باب الحديد، ولابد من سيارة تنقل الضيوف إلى الزمالك

— تاكسي، تاكسي، تاكسي

هتفنا بهذه اللفظة أكثر من خمسين مرة، فما سمع سامع ولا أجاب مجيب

ونظرت فرأيت فتى يخترق الظلام ليستوقف سيارة فظننته خادماً يبحث لسيده عن واسطة، أداة النقل في لغة العراق، ثم ظهر أنه بائع متجول أراد أن يريحنا من ذلك العناء

هل قدمنا لهذا البائع قرشاً أو نصف قرش؟

الجواب عند السيد عبد الجبار الجلبي فقد كان في الزاوية الثانية، ولعله نفحه بشيء، وإلا فأنا حاضر لمكافأته على ذلك الصنيع الجميل.

زكي مبارك

(١) كلمة «أفواه» مرفوعة لأنها فاعل المصدر وهو «قرع» فقد رفع الفاعل بعد إضافته إلى المفعول

الأعـــراب

نحو الذين بلغوا الرسالة

لأســتاذ جليل

إلى الأستاذ صاحب مجلة (آخر ساعة)

يا أخا العرب

لـكاتبين محررين فى مجلتك ولـكتاب فى مصر وغير مصر أن ينقدوا (الأعراب) ، وأن ينعوا عليهم عيوباً فيهم بل أن يبالغوا فى شتمهم أو هجومهم إذا اقتضت حال سبًّا

إن لهم أن يقولوا : (إسلامية وجاهلية) حين يروننا مستمسكين بعادات خبيثة بدوية ، وأقضية منكرة عرفيـة تظاهر (الظهير البربرى ...)

وإن لهم أن يقولوا : (أمصرية وعداوة للجندية) حين نسأل أولى الأمر أن نميّز ، أن نستثنى من سائر الأمة فى الأمر العمم كأننا ضَمْنى أو زَمْنى يلتمسون الترمين[1]

وإن لهم أن يقولوا : متى تتحضرون أيها الأعراب ، وقد تبدلت الدنيا ، وتدخلون فى دين الناس ، وتسكنون بيت الحجر وتتركون بيت الشَّعر

إن لهم أن يقولوا الحق فى كل وقت ، وللحق يعنو الصغير ويعنو الـكبير

ومن أقوالنا قِدْماً : « اشتمْنى واصدقْ أيهـا الشاتم » ،

ولـكن هل يجوز لـكاتب عندك اسمه (إحسان) أن يقول فى مقالته (حوادث وخواطر) — فى الجزء (٤٦٠) ص (١٠) فى ٢٥ يوليو (١٩٤٣) : « كل هذه المدنية التى شيدناها لم تعجب الزائر الـكريم وإنما أعجبه الأهرام وأبو الهول ، أعجبته قطعة من الصحراء أقيمت عليها أصنام وقفت حولها حمير وإبل وأعراب ... »

إن هـذا لشىء إدّ ، إن هذا لأمر نـكر لم تقتضه حال ، ولا دعا إليه داع . فما الذى دفع الـكاتب إلى هذه المقولة ، وما كان ضره لو ترك (الأعراب) وخطبهم ولم يقرنهم وما سمَّاها فى قرن

يا أخا العرب

أنت تدرى وكل الناس يدرون أن أجدادنا كانوا البعوث (الجيوش) التى قادها صاحب رسول الله أبو عبد الله (عمرو ابن العاص) العربى المصرى (رضوان الله عليـه) يوم بادر إلى مصر كيما يحررها ويهديها

فأنذ آباؤنا عمرو بن العاص هوسيدى ، وهو سيد كل مصرى يقول : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهو سيد كل مصرى ينطق بالعربية

من حرر مصر ؟ من هدى مصر ؟
عمرو بن العاص طاحب محمد ، خادم دين محمد

يا أخا العرب

إن الأعراب (حيَّا الله رَبْعك[1]) إذا تحضروا وتعلموا وتثقفوا جاءت منهم ملائـكة . ومن الأعراب فى هـذا العصر فى هذا الوقت فى مصر وفى العراق والشام والجزيرة وبلاد المغرب (تونس والجزائر والمغرب الأقصى) دكاترة فى العلوم والفنون ، وأساتذة كبار ، وزعمـاء عظماء ، ومرشحون للزعامة ... من الطراز الأول

* * *

أدع الانتخاء والعنجهية الأعرابية وأقوال العلماء والأدباء قديماً وحديثاً فينا ، ووصية سيدنا عمر (رضوان الله عليه) بنا ووصفه إيانا . وأدع أبيات المتنبى فى البائية ، وأبيات المعرى فى الرائية فى تقريظنا لشهرتها . وأختم هذه الأسطر بكلام الله ، وأبيات لأبى إسحق ابراهيم بن عثمان الفزى (رحمه الله) حتى تـكون قولاً بقول ، والبادئ أظلم ، وقضاء الله فى أمر الاعتداء هو القضاء : « ... فمن اعتدى عليكم الآية » ولئن أساء (إحسان) — غيرَ ناوٍ أن يسىء — لقد أحسن (ابن عثمان)

قال الله :

« ومنَ الأعرابِ من يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ ، ويتَّخذُ ما يُنفقُ قُرُباتٍ عند الله وصَلَوات الرسول . ألا إنها قُربةٌ لهم ، سيدخلُهم اللهُ فى رحمته ؛ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيم »

قال الشاعر :

يا ربعُ ، فيك المها والأُسد أحبابُ
فقل لنا : أ كناسٌ أنت أم غابُ ؟

(١) الضمانة والزمانة : العاهة . وهو ضمن وزمن — مثل كتف — والجمع ضمنون وزمنون ، وضمنى وزمنى . وزمنه : كتبه فى ديوان الزمنى ليعذر عن الجهاد ، ولم ترد هذه اللفظة فى المعجمات ، وسيعاد إليها

(١) قومك .

المشكلات

٣ـ اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

يتوقع القراء أنني سآتيهم فى مشكلة اللغة العربية بحلول مطولة وآراء معقدة ، تثقل على العامة ولا يسيغها إلا الخاصة

وإني سآتيهم بالجديد الذي لم يقرع أسماعهم ، ولم يخطر لهم ببال

وأني أقول للقراء أن ما سأعرضه عليهم قسمان ، الأول نقد الطريقة التي تسلكها المدارس فى تعليم اللغة ، والثاني نقد علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، وإبطال الباطل من قواعدها ، وإحلال الحق محله

فأما نقد أسلوب تعليم اللغة فإني أحب أن أطمئن القراء من جهته ، فإن الحلول التي جئت بها سهلة لا غموض فيها ، بسيطة لا تركيب فيها ؛ وهكذا شأن الحقيقة تمتاز بالسهولة والبساطة ، وقد أخذتها من العامة وأشباه العامة ، أخذتها من الحائك إذ يعلم الحياكة ، والحداد إذ يعلم الحدادة ، والنجار إذ يعلم النجارة

وليس فيما جئت به فى هذا الموضوع جدة ، وإنما هو قول معاد مكرور ، قاله علماء الشرق قديماً وعلماء الغرب حديثاً ، حتى أنني ترددت فى عرضه على الناس ، ولكن يشفع لي فى عرضه أن قومي لم يعملوا به كأنهم لا يعرفونه ، فقلت لعلهم يحتاجون إلى الإقناع به ، وإقامة الدليل عليه ، وإدارة الكلام على البرهان والإقناع ، ليوافق طبقات الناس ، وكذلك فعلت

وأما نقد القواعد وبيان الباطل منها ، وإحلال خير منها محلها . فهي مسائل فنية يصعب فهمها إلا على الدارسين ، وهي جديدة قد نشأت عن الدرس الطويل ، والتأمل والتنقيب فى هذه العلوم ، وفيها لذة ومتعة ، فسيرى فيها القراء مصاولة العقول ومقارعة الآراء ، وسيرون علوما كانت تحاط بهالة من التقديس تنهار وتتهدم ، وعلوما أخرى حلت محلها وأخذت مكانها ، فبدت أعلى منها وأسمق ، وما نهدم ما نهدم إلا عن بينة وحجة ، وما نبني ما نبني إلا عن بينة وحجة . فما عدله الدليل فهو العدل الثقة ، وما جرحه الدليل فهو المجرح المدخول

فإن كان ما جئت به حقاً فللقراء خيره وبركته ، ولي ما كابدته من النصب والهم ، وإن كان باطلاً فعلي تبعته وعاره ، وخلاهم ذم

وربما لم تعن أمة فى العالم بلغة ما كما عنيت الأمم الإسلامية باللغة العربية ، وقد عظمت هذه العناية واتصلت وتلاحقت مدة ثلاثة عشر قرناً ، تتوافر العلماء عليها فى القديم يدرسونها من نواحيها المختلفة ، درسوا مفرداتها وعرفوا التغييرات التي تلحق المفرد ، والأوزان التي يكون عليها ، وكيف تتصرف الكلمة فى الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة الخ . ، وعرفوا قواعد ذلك وسموه علم الصرف ، وعرفوا ما تدل عليه كل كلمة من معان ، والشواهد التي يستشهد بها على هذه المعاني ، ودونوا ذلك وسموه علم متن اللغة ، ودرسوا نظمها وتراكيبها المختلفة ، وما يفيده كل نظم وتركيب ، ووضعوا قوانينه وسموه علم النحو . ودرسوا فضيلة الكلام ، ووضعوا القواعد التي يحسن بها الكلام وسموها علم البلاغة . ودرسوا ما فى لغة العرب من شعر ونثر وبينوا معانيه . ودرسوا أوزان الشعر وأعاريضه وقوافيه . وهلم جرا

وضعوا كل ذلك فى قوانين ، ووضعوا هذه القوانين فى كتب قد سطرت ، وصحف قد نشرت ، وكان كل جيل من الأجيال يزيد وينقص ، ويغير ويبدل على حسب ما يتراءى له ، ويضع الكتب الجمة والأسفار المختلفة ، وكانوا يعكفون عليها يتدارسونها يعلمها كبيرهم صغيرهم ، وعالمهم جاهلهم ، وقد ورثنا نحن هذه

بين الكثيبين حيٌّ لغوُهم أدبٌ
محضٌ ، وإيجازهم فى القول إسهاب
خطّوا وأقلامهم خَطّية سُلُبٌ
فهم على الخيل أميّون كتّاب[(١)]
أهل الإصابة إن قالوا ، وإن سمعوا
وللسماع كما للقول إعراب[(٢)]
غيرَ الهبيدِ وبَرْضِ البيد ما عرفوا
والعز يعذب فى أكوابه الصاب[(٣)]

صدق الله ، ولم يكذب الشاعر[(٤)] ...

ناقد

(١) سلب : طويلة أو تسلب الأنفس
(٢) الله أكبر !
(٣) الهبيد : حب الحنظل . ماء برض : قليل
(٤) تراجع فى (العقد) فى أخبار الرجل العظيم الحجاج بن يوسف (رحمه الله) قصة طرفة فى آخرها صدق الله وكذب الشاعر

العناية فدرسناها فى جميع معاهد التعليم ، فهى تدرس فى وزارة المعارف ، فى الأقسام الابتدائية والثانوية وفى التعليم الأولى ، وهى تدرس فى المعاهد الدينية والأزهر فى الأقسام الابتدائية والثانوية ، وهى تدرس فى كلية اللغة العربية من كليات الأزهر ، وفى كليتى الآداب من جامعتى فؤاد وفاروق ، وهى تدرس فى دار العلوم ومدارس المعلمين والمعلمات ، ونصيبها من الحصص فى هذه المعاهد نصيب الأسد

عكفت مدارسنا على هذه القواعد التى استنبطها العلماء المتقدمون فى النحو والصرف والبلاغة والعروض والقافية تدرسها وتضبط شوارد العربية على المتعلمين

وكانت تقسم القواعد على سنى الدراسة قسمة تراعى فيها الحكمة ، فهى قليلة موجزة فى الأقسام الابتدائية ، وكثيرة مطولة بعض الشيء فى الأقسام الثانوية ، وهى مطولة كل التطويل ومستوعبة كل الاستيعاب فى المدارس العالية

إنى لأعجب كيف تخفق مدارسنا وتخفق الأجيال قبلنا فى تعليم هذه اللغة مع هذه العناية وهذا الجهد

أينجح الحائك في تعليم الحياكة ؟ والبناء فى تعليم البناء ، والنجار فى تعليم النجارة ، وكل ذي صنعة فى الدنيا فى تعليم صنعته ، ويخيب رجل العلم والتربية فى تعليم اللغة العربية ؟

أينجح تلاميذ الصناع جميعاً إلا قليلاً ، ويخيب تلاميذ رجال العلم إلا قليلاً مع أن الأولين يبذلون أقل جهد ومشقة فى تعليم الصناع ولا يعللون المسائل ولا يفلسفونها ، ولا يعملون شيئاً إلا أن يأخذوا المتعلمين بأعمال كثيرة من صنعتهم ويمرنوهم ويكرروا ذلك ، فإذا هم قد حذقوا الصنعة وأجادوها ، ومع أن الآخرين يبذلون كل جهد ومشقة ، ويذكرون علل العربية ويفلسفونها ، ويطلعون تلاميذهم على دقائقها وخفاياها

لعل مازحاً يمزح ويقول أن سر هذا الإخفاق فى هذه العناية ، وسر هذا النجاح في هذا الإهمال

وسنأخذ هذا المزاح جداً ، ونرى أنه يشير إلى الطريق ونضع أن سر نجاح أولئك فى طريقتهم وسر خيبة هؤلاء فى طريقتهم

سر نجاح أولئك فى المرانة والتكرار حتى يكسبوا الصنعة ، وسر خيبة هؤلاء في الاعتماد على القواعد وترك الحفظ والمرانة والتكرار

ولو أخذ كل بطريقة الآخر لخاب الناجح ، ونجح الخائب لو علم الحائك تلميذه بطريق القواعد فحسب ، وظل طول عمره يقول له شد الخيط طولاً واسلك فيها الخيوط عرضاً ليتكون منها سدى ولحمة ولم يأخذه بأعمال الحياكة الكثيرة وتكرارها والمرانة عليها ، لخاب فى التعليم ولم يكسبه الحياكة ، ولو أخذ عالم العربية بطريق المرانة والتكرار والحفظ ، فحفظ تلاميذه أساليب العربية البليغة ، ومثلها الرائعة مما يعتاد فى الخطاب ، وأخذهم بالنسج على منوالها فى الحديث والكتابة والخطابة لنجح فى تعليمه

ولا عجب أن يكون هذا الصانع العامى أقرب إلى الحقيقة من هذا العالم المربى ، لأن هذا العامى يرجع إلى الواقع ويستملى منه وهذا العالم قد أغفل الواقع وقلد ما كان عليه الآباء والأجداد

هذا العامى يعلم أن قواعد الصنعة لا تعطى الصنعة ، ولا يعطيها إلا تمرين المتعلم ، وأخذه بنماذج كثيرة ، وتكرير ذلك حتى يتقنها

وهذا العالم أغفل هذه الحقيقة وظن أن قواعد اللغة تكسب اللغة وأن قواعد البلاغة تكسب البلاغة فأخذ يبدأ فيها ويعيد ، ويكرر ويكثر من التكرار ، فأكسبهم ملكة فى قواعد اللغة ، ولم يكسبهم ملكة اللغة

سيهول هذا أقواماً ويرونه سخفاً من القول . وقياساً مع الفارق ، ويقولون : إنك لم تعمل شيئاً سوى أن قست قياساً فقات تعليم وتعليم ، ولغة وصنعة ، وكما أن الصنعة لا تكسب بالقواعد إنما تكسب بالعمل والتكرار كذلك لا تكسب اللغة العربية بالقواعد فحسب إنما تكسب بالعمل والتكرار والحفظ ، والقياس لا يفيد اليقين ، فطرق العلم مختلفة ، فهذا يعلم من طريق ، وذاك يعلم من طريق آخر ، فالروائح تعلم بالشم ، والطعوم تدرك بالذوق ، والألوان تدرك بالبصر ، فكما لا يصح أن يقال : إن الأحمر قد كان طريق العلم به البصر فيجب أن يكون الحامض طريق العلم به البصر كذلك لا يصح القياس الذى ذكرته ، فلعل هناك فارقاً بين الصنعة واللغة يجعل أحكامهما مختلفة ، فتكون الصنعة تكسب بالتكرار ، وتكون اللغة تكسب بالقواعد ، فالقياس لا يجدينا ولا ينفعنا ، فلا بد أن تأتي بالبرهان لنصدق به ، ولا نجد عنه معدى

وإنى أعد القراء أن أجىء بالبرهان على أن اللغة كسائر الصنعات لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكسب بالحفظ والتكرار ، وأن أدير الحديث على طرق إقناعية شتى حتى أفوز بإقناع أولى الأمر فنحل مشكلة من مشكلاتنا العديدة ، لنفرغ لمشكلات أخرى .

محمد عرفة

طرائف:

عن الكتب والكتاب

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

نسخ الكتب . تصحيح الكتب . سرقة الكتب . النار والمكتبات

موضوع المكتبة العربية – عامة أو خاصة – هو موضوع طريف سنعرض له بالتفصيل في العدد القادم من « الرسالة »

أما موضوع اليوم فهو توطئة للموضوع الذي اعتزمنا الكتابة فيه للأعداد المقبلة

ومن لوازم الكتب وجود عدد من « النساخين » ومهمتهم أن ينسخوا من الكتاب الواحد نسخة أو أكثر على حسب رغبة المؤلف أو وفق مقتضيات الأمور

وأول ما عرف من هؤلاء النساخين في الأدب العربي الجماعة الذين كتبوا المصاحف الأربعة بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ؛ وهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث[1]

أما كتّاب الوحي فلم يكونوا نساخاً ، بل كان الرسول يملي عليهم الآيات حين نزولها ، وشرط النسخ أن يكون عن كتاب أو صحيفة مكتوبة

وليس النسّاخون مقصورين على الكتاب العربي وحده أو المكتبة العربية وحدها ، فهناك نساخون في الكتب الأوربية وكان يطلق على هؤلاء النسّاخ كلمة الرهبان ، لأن الرهبان والقسوس كانوا مختصين في العصور الوسطى بنسخ الكتب[2]

وبهذه المناسبة كان عند النساخين من الرهبان قانون وضعه « تريتم » رئيس الكهنة في عصره يقول فيه : « يجب أن يقطع أحدكم الرق قطعاً ، وآخر يصقلها ، وآخر يسطرها ، وآخر يبرى الأقلام يملأ المحابر ، وآخر يقرأ ويصحح كتابة الناسخ ، وآخر يزخرف الكتابة بالمداد الأحمر وينقط الحروف ، وآخر ينقشها ، وآخر يلصق الورق ويحبك الكتب على ألواح من الخشب »[3]

فأنت ترى من ذلك كله أن عملية نسخ الكتاب كانت عملاً منظماً توضع له القوانين وتقعّد القواعد . وخاصة عند جامعي الكتب من أمراء أوربا في العصور الوسطى

ولهؤلاء النساخين – عرباً كانوا أو فرنجة – طرائف في النسخ . ولكنهم على كل حال كانوا آفة في الكتابة العربية : ونظرة واحدة في الشعر الوارد في كتاب « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبي تؤيد هذا الكلام ، فهو شعر مختل مكسور مسخه الناسخ . وجاء الطابع الحديث فأبقاه – لسقم ذوقه – على اختلاله وكسره . وجاء الدكتور العالم أحمد عيسى بك فنقله في كتابه الجديد « معجم الأطباء » مختلاً مكسوراً . وليس ذلك من سبيل بحثنا اليوم ، ولكننا سنفرد لتصحيح هذا المعجم الجليل مقالاً طويلاً في « الرسالة »

ومن عجب أن الكتب المنسوخة لم يقم لها مصححون يعنون بمراجعة أخطاء النّسخ وضبط الكتاب وتحقيقه ؛ أما الكتب المطبوعة فقد قام عليها مصححون منذ عرّف الكتاب العربي الطبعة العربية في مطلع القرن التاسع عشر ؛ وعند صديقنا العالم الراوية الأستاذ محمود حسن زناتي أنباء كثيرة وطرائف عن هؤلاء المصححين ؛ ولعله يتحف الأدباء قريباً بمقالاته في هذا الموضوع . وأشهر هؤلاء المصححين التماعاً في سماء الأدب الشيخ نصر الهوريني المتوفى سنة ١٨٧٤م ، كان هذا الشيخ عضواً في بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى فرنسا[1] ؛ فلبث هناك مدة ثم عاد رئيساً للتصحيح بالمطبعة الأميرية ؛ وله تعليقات لطيفة على هامش القاموس المحيط للفيروزبادي ؛ كما أن له كثيراً من المؤلفات أشهرها « المطالع النصرية للمطابع المصرية »

ومن المصححين المشهورين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الشيخ أحمد البهي بن حسن عبد الصمد[2] ؛ وكان موظفاً بالمطبعة الوهبية التي أنشأها الفاضل مصطفى وهبي . وللشيخ البهي فضل تصحيح كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ؛ وهو من المطبوعات النادرة الآن . وقد تم طبعه في سنة ١٨٨٢م ؛ ولم يطبع بعد تلك الطبعة إلى اليوم

ولم يكن عمل المصححين القيام على تصحيح الكتب المطبوعة فحسب ؛ بل قام بعضهم بتنظيم الفهارس المختلفة للكتاب المطبوع كما صنع الشيخ البهي في كتاب طبقات الأطباء المذكور . فقد صنع فهرساً وافياً للأعلام ، وآخر للبلاد والمواضع والأماكن

(١) آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ١٨٧ ج ١
(٢) مجلة روضة المدارس المصرية من مقال لعلي رفاعة الطهطاوي
(٣) المصدر السابق

(١) الأعلام للزركلي ج ٣ ص ١١٠٣
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، صفحة ٢٧٤ ج ٢

والمياه والأنهار[١] . وبلغت صفحات هذين الفهرسين وحدهما (١٢١ صفحة)

وليس عمل الفهارس للكتب المطبوعة القديمة أو الحديثة عملاً هيناً يسيراً ، ولكنه يقتضى دقة وبصراً من واضعه ؛ واشتهر من منظمى الفهارس اليوم الأستاذ محمد شوقى أمين الموظف بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ؛ فله فهرس[٢] منظم لكتاب البخلاء للجاحظ الذى طبعته وزارة المعارف العمومية بعناية الأستاذين أحمد العوامرى بك وعلى الجارم بك ، وله فهرس لكتاب الحلل السندسية فى الآثار الأندلسية الذى يطبعه الأمير شكيب أرسلان

وللكتب ـ مطبوعة كانت أو مخطوطة ـ آفتان : السرقة والنيران . ولقد عرف اللصوص قيمة الكتب وخاصة بعد أن اعتنى أصحابها بتجليدها وتزيينها ؛ فارتفعت أثمانها عند الأمراء والأثرياء واضطر هؤلاء إلى العناية بحفظها والقيام عليها وكانوا يكتبون على أولها عبارات تتضمن لعنة السارق والسخط عليه . وقد وجد على أحد الكتب هذا البيت من الشعر على لسان صاحب الكتاب :

إذا غرك الشيطان أن تجترى على
كتابى فعقبى المجترين الفضائح

أما النيران فهى آفة الكتاب الكبرى وبليته . فلقد أحرقت مكتبة الأمير نصر السامانى على نفاستها[٣] . واتهم بعض ذوى الأغراض عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الأسكندرية وهى تهمة لا تستند إلى الحق . وأحرق التتار مكتبة بغداد وأغرقوا كثيراً منها فى النهر سنة ٦٥٦هـ[٤] ، وكانت الكتب النفيسة فى هذه الفتنة تباع بأوهى قيمة[٥]

(١) ذيل طبقات الأطباء
(٢) كتاب البخلاء جـ ٢ ص ٢٣١
(٣) مجلة روضة المدارس
(٤) البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٣ ص ٢٠٢
(٥) التجارب النافعة لابن الفوطى طبع بغداد صفحة ٣٣١

ولما سقطت مدينة غرناطة فى يد الأسبان أمر البطريق إبكزامينيس بإلقاء الكتب الإسلامية وخاصة العربية فى النار . ونهب الأتراك فى القرن العاشر ما وقع لهم من كتب المماليك وأضرموا النار فيها . ولا يغرب عن البال ما صنعه « كرمويل » فى مكتبة اكسفورد فقد أمر بإحراقها وكانت أغنى المكتبات الأوربية فى حينها

وهناك بلية ثالثة للكتب وهى العُثّة التى تعيث فيها وتطيل ملازمتها لها بالأخراق والثُّقب ؛ واسمها بالإنجليزية : Moth Worm . وقد أطلق الإنجليز على كل شخص يطيل ملازمة الكتب والتنقير فيها كلمة Book-Worm ، وهى كلمة يفتخر العلماء وأهل البحث بأنها من صفاتهم .

محمد عبد الغنى حسن

الإسلام ومكافحة الأمية

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

القراءة والكتابة هما أقوم السبل للتحصيل والمعرفة . وجاء عمل النبي صلى الله عليه وسلم من افتداء أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين إشارة حكيمة إلى فائدة الكتابة وأثرها فى كسب المعرفة ، وعلى الأخص القرآن الكريم ، مما يؤدى إلى تثبيت الدين والعمل على انتشاره .

ثم اقتضى نظام العمران بعد انتشار الإسلام واستتباب أمره فى البلاد المختلفة شرقاً وغرباً ، إلى ظهور الكتاتيب لتعليم الصبيان القرآن والكتابة والقراءة وبعض النحو والعربية . وتناول معلم الكتاب الأجر نظير انقطاعه لهذا العمل بعد أن كان التعليم فى صدر الإسلام تطوعاً واحتساباً .

وظهور الكتاتيب الإسلامية أثر من آثار الإسلام اقتضته ضرورة الدين الجديد الذى يخاطب الناس كافة لا يقتصر على طبقة دون طبقة ، ولا يفرق بين الأغنياء والفقراء ، أو الأمراء والدهماء .

وكان الغرض الأول من التعليم دينياً خالصاً من شوائب الأهداف المادية التى تفسد على الناس أمورهم وتؤدى إلى الاضطراب والتنازع والفساد .

وقد سار الأمر فى مكافحة الأمية مع الروح الأولى الإسلامية تلك الروح المتدفقة القوية ، يصحبها العزم والإيثار والتطوع لتعليم الصغار والكبار . وليس فى القرآن نص على إلزام التعليم ولم يوجب الحديث ذلك . جاء فى الصحيح : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وهو أقوى ما يؤثر عن الرسول بصدد التعلم والتعليم . وهذا الحديث يجعل من تعلم القرآن فضيلة ولا يرتفع بها إلى مرتبة الواجبات

وقد بحث أحد علماء المسلمين هذا الموضوع ، أى مكافحة الأمية ، إلى أن انتهى إلى القول بها . ذلك العالم هو أبو الحسن القابسى المتوفى سنة ٤٠٣ هجرية ، فى كتابه « المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » . قال إن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والدين ، وحيث أن الوالد مشغول بتحصيل المعاش ، فلا بأس أن يحمل عنه معلم الكتاب مؤونة التعليم بالأجر . وإذا مات الوالد فليبعث بالصبى إلى الكتاب وصيه إن كان للصبى مال ؛ فإن لم يكن له مال فليبعث به أحد الأقربين أو المحسنين أو يدفع له حاكم البلد الأجر من بيت مال المسلمين .

والقابسى يتلمس جميع الوسائل المؤدية إلى تعليم الصبيان . إلى أن قال : « فإذا تهاون والد عن تعليم ولده فى الكتاب بالأجر ، جُهِّل وقبِّح ووضُع حاله عن أهل القناعة والرضا »

فهذا فقيه فى القرن الرابع الهجرى ينادى بالتعليم الإلزامى ، ويصور وسائله ، ويضع شروط الجزاء للمتهاونين فيه !

والفرق بين الإلزام الذى يقول به وبين الإلزام فى العصر الحاضر ، هو أن الدولة هى التى تنفق على التعليم ، وأن قوانينها تعاقب من يمتنع عن إرسال أبنائه بالحبس أو الغرامة ، أما القابسى فيضع جزاء أدبياً هو التجهيل والتقبيح .

على أن نداء القابسى لم يتبدد ، فقد وجد آذاناً صاغية من المحسنين والقادرين الذين حبسوا أموالهم على الكتاتيب ووقفوا لها الأوقاف ، وبذلك ازدهرت حياة التعليم فى القرنين الخامس والسادس .

فليذكر الذين يتأثرون خطى الغربيين ويأخذون بحضارتهم أن الإسلام نادى بالتعليم العام منذ ألف عام ، فى الوقت الذى كانت أوربا تعيش فى التأخر والجهل

وليذكر الذين يعملون فى مصر الآن على « مكافحة الأمية » تلك الصفحة المجيدة فى حياة الإسلام ، لعلها تفيد فى رجع ما انقطع .

أحمد فؤاد الأهوانى

مسرحيـــة أخناتون

تأليف الأستاذ على أحمد باكثير

للأستاذ لبيب السعيد

الأستاذ على أحمد باكثير شاب حضرمى طوّف فى الشرق ما طوف ، ثم استقر فى مصر يخدم الأدب والعلم . وقد بلوناه حيناً شاعراً له طابعه . وها نحن أولاء نرى فيه كاتباً تمثيلياً وقصاصاً يبشر إنتاجه بأن سيكون له فى المستقبل الدانى شأن أى شأن .

تُرينا هذه المسرحية أخناتون أميراً شاعرى الروح ، قضت زوجته (تادو) فكان حزنه عليها فوق الصبر ، وداعياً للالحاد والكفر ، ثم انثنى يتنكر لكل شىء ، ويدرس الديانات والفلسفات مما أخاف كهنة آمون على سلطانهم أن يزول حين يؤتى الأمير الملك

وتزوجه أمه من (نفرتيتى) موهمة إياه أنها (تادو) عادت إليها الحياة ، ويصدق هو ذلك لاعتقاده بإمكانه ، ويسعد بالزوجة الجديدة التى نسخ الحب فيها روح (تادو) ، ثم يضحى الأمير من بعد ملكا رسولاً . ولكن الرسالة التى فهم أن من مبادئها السلام تجنى على الملك الذى يقتضى الحرب ، فتنبعث الفتنة فى كل مكان ، ويكيد الكهان لأخناتون ، ويمضى هو مع ذلك فى إخلاصه للسلم والحب ، فإذا فشل أخيراً وآده اليأس ألحد فى ربه ، ثم يدرك وشيكا أن التسامى الشعرى غير الواقعية ، وأن لا مناص من السيف وحطم الظلم بالعدل . ويثوب إليه إيمانه وهو يحتضر

تومىء هذه المسرحية فى ثناياها إلى أن الجمال الباهر والحزن العميق يستطيعان أن يدقا الشعور ويهيئا النفس لتلق الرسالات

ومن حسناتها اللامعة التفاتها الخاص إلى السيكولوجية : ومن مصاديق ذلك غيرة « نفرتيتى » من مجرد ذكرى ضرتها الميتة ، وأحزان « مىّ » أم أخناتون على زوجها بعد مماته ، وحنينها المؤثر إلى أيامه ، وغيرتها من كنتها ، وتغير إحساسها نحوها ، وموازنتها بين طاعة ابنها الذى يشفق على قلبها وطاعة زوجها الفقيد طاعة الحب العمياء ، وفزع الكاهن « سادو » من ذكر الثعابين حتى ليكاد من جبنه يحس دبيب الحية فى عنقه .

هذه وغيرها صور وحالات استمدت جمالها وقوتها من اعتمادها على السيكولوجية

ومن أبرع وألذ ما حوت المسرحية ذكريات الأمير عن « تادو » بعد خيمته فيها ، ما كان أمضها ذكريات ! ولكن ما كان أعذبها !

ومما يظفر أيضاً من القارىء برضاه واهتمامه شخصية « أمنوفيس » أبى أخناتون ، وما كان فيه من مجانة وطرب ، وفلسفته الظريفة فى تذوق الملاحة النسائية ، وتخريجه الساخر لمعنى الوفاء للمرأة ، ثم ما كان فى حياة أخناتون مع زوجته « نفرتيتى » من تعاطف رائع وأنس وسعادة ، ثم سذاجة (تاى) المربية المسرفة فى إعجابها بزوجها ، والتى تحزن لمرض (أخناتون) الأخير . ولكنها لا تتمالك إذ تراه يطالع اللانهاية فى عينى نفرتيتى ، أن تقول : آه ... ياليت (آى) يطالع فى عينىّ شيئاً ! وكذلك شجاعة القائد (حور محب) وإخلاصه ، وبلاهة (تمنتارا) وحقارته !

ونزعة المؤلف فى الأسلوب تظهر فى المسرحية إذ تقرر أن الديانات قد يعوزها أن تحمى نفسها بالسيف ، وإن الركون إلى السلام مفض لا ريب لفقد الملك وسقوط الدين معاً

ورأى المؤلف فى التناسخ طريف وجميل وليس فيه مايتحرج منه

* * *

وبعد ، فأود أن أصارح صديقى المؤلف أنه كان أولى به أن يدع الأمير (أخناتون) يحدثنا بنفسه عن الآلام التى كان يصطخب بها قلبه فى أعماقه بدل أن يحدثنا بها كبير الكهنة

حقاً لقد راقب كبير الكهنة الأمير من بعيد قرابة شهر بحيث يراه ولا يدرى مكانه ، فهو يتحدث عنه على ضوء ما شاهد ؛ ولكن هذه المراقبة إن كفلت له الحديث الصادق عن مظاهر أحزان الأمير ، فليست بكافلة له أيضاً الحديث المسموع عن حشاشته التى تسيل زفرات ، وصبره الصامت الذى يكبت من حزنه الصارخ ، ونسيانه يومه وحنينه إلى أمسه الماضى وتفكيره فى غده الآنى ووراء غده ، وعن هفو أضالعه ... الخ

وأنا بعد أفهم أن الرسول هو بطبيعته وطوال حياته آخر من تعصف المصائب بإيمانهم ، ولكن أخناتون الذى تدور المسرحية على كونه رسولاً ، يسرف فى الكفر : يكفر عند موت زوجته الأولى كفراً هائلاً ، ثم يؤمن حتى يسعد بزوجته الجديدة ، ثم يضطلع برسالته مخلصاً مطمئناً ، فإذا أحس الفشل عاد كافراً يتشكك ، ثم تخر صاعقة بقرب القصر فيزداد كفراً ، وينسى رسالته فى صميمها ، فإذا استمع إلى كلام (حور محب) الذى يحاوره فى براعة ولطف عاد مؤمناً ، فاستغفر لذنبه ، وذكر أنعم ربه ...

وأشخاص الرواية هم أخناتون وأهله ورجال القصر والكهنة فأين ابن الوطن ؟ أين هو يسمعنا آراءه تلقاء الدعوة الجديدة ، ويرينا موقفه إزاء جهاد الرسول وكفاح الكهنة ؟

* * *

بقى أن أقول إن الذوق العربى لا يستطيع غالباً أن يسيغ (النظم المرسل المنطلق) المصوغة فيه المسرحية لأنه لم يألفه . والذى أعتقده أن ما عمد إليه المؤلف من إرسال القافية فى أغلب المسرحية وعدم المساواة فى العدد بين تفعيلات الأبيات إخلال بالخواص الجوهرية للشعر العربى لا يحسن اللجوء إليه . والظن أن طريقة كتابة هذه المسرحية وهى على نسق طريقة شكسبير تحمل القارىء على بذل جهد خاص فى القراءة كما حرص على تفهم المعنى واستساغة النغم الشعرى . وعندى أنه لو كتبت المسرحية كالنثر ، بحيث تتصل الجمل دائماً حتى يستوفى المعنى ، وبحيث تستعمل علامات الترقيم أدق وأوفى استعمال لكان ذلك أدنى ألا يجهد القارىء فى الاستمتاع بما فى الرواية من بيان ومعان

على أن الإنصاف يقتضينا أن ننوه بالمقدرة الممتازة التى أتاحت للمؤلف صوغ مسرحيته كلها من بحر واحد ، فإن القارىء للمسرحيات الشعرية العربية التى سبقت (أخناتون) كان ينتقل فجأة من بحر إلى بحر ؛ فكان ذلك قاطعاً للذته ومزعجاً لخاطره

ذلك ولأخى المؤلف الناجح شكر مصر القادرة وفاء، وشكر الأدب الذى ينوط به آمالاً كباراً

(المنصورة) لبيب السعيد

نار ... ونفس !!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظَمِئَتْ نارى ! وللنّار كما للنّاسِ خَمْرٌ ورحيقُ
ولها حانٌ ، وخمّارٌ ، وأقداحٌ ، وإبريقٌ عتيقُ
ونداماها أسى العُشّاق ، والأحزانُ ، والسِّرُّ العميقُ ...

وبكتْ نفسى ! وللنّفس دُموعٌ حين تبكى وشهيقُ
ولها كالحطب المشبوب أزٌّ فى حشاها وحريقُ
ولها كالأفقِ الغضبان إعصارٌ ورعدٌ وبروقُ ...

فسألتُ النّارَ : مَنْ أظمأ يانارُ على قلبى أظماكِ ؟
كيف أسقيكِ ! وأىُّ الخمرِ ترجو مِنْ زمانى شفتاكِ ؟
ما بكأسِىْ غيرُ نارٍ كالّتى تحمِلُ بلواها حشاكِ !

وسألتُ النفسَ : مَنْ علّمَ دمعَ العينِ يجرى فى حِماكِ ؟
كيف أسقيكِ مِنَ السُّلوانِ والسُّلوانُ معنًى مِن أساكِ ؟
ما بكأسِى غيرُ دمعٍ أترعَتْهُ مِنْ دمِى يوماً يداكِ !

قالت النّارُ : فضحتَ السِّرَّ ، فاصْمُتْ ، لا تُحدِّثْ عن لهيبى !
إنْ تكن نارُكَ مِنْ نارِى فلا تسألْ عن السرِّ الرّهيبِ
وارْكبِ الرّيحَ ، وخلِّ الجِنَّ يُسْرِجْنَ لها طيرَ الغيوبِ
فإذا شارفتَ عذرائى تُناديكِ على شطِّ الغروبِ ،
وانسَنى فى جذوةِ الأنفاسِ لا تزعجْ لظى خمرىْ وكوبى

وهفا بالنّفسِ ما يهفو بغُصْنٍ فى يد الإعصارِ يعْولْ
ثم قالت : كيفَ عنْ دمعى ومنكَ الدّمعُ ياحيْرانُ تسألْ ؟
إنْ أكنْ فيكَ سكنتُ الجسمَ والجسمُ ترابٌ يتنقّلْ ؟
فأنا طيرٌ بعرشِ الله لى عُشٌّ وبُستانٌ وجدوَلْ
إنما أبكى لِهذا القفصِ الدّاجى الكئيب المُتملْمِلْ
لمْ يجدْ أىَّ عزاء فى وجودِى ، كيف يغدو حين أرحلْ ؟!

محمود حسن إسماعيل

كلمة تعزية

[إلى حضرة صاحب العزة عزيز بك أباظة مدير البحيرة شكراً على هديته ديوان « أنات حائرة »]

للأستاذ خليل شيبوب

رِيعَ قلبي من هذه الأنَّاتِ(١) تَتَلظَّى تَلظِّيَ الجَمَراتِ
نثرتها في الشعر لوعةُ شاكٍ فجرت في الدموع منتظمَاتِ
أَكبَرَ العصرُ آيةَ الخير فيها نزلت مثلَ مُحْكَمِ الآياتِ
جَدَّدَتْ سُنَّةَ الوفاء وأحيت عُنْصُرَ البِرِّ والهدى والثبات
بعد ما قيل نحن في عصر لهوٍ حافـــلٍ بالمجون والشهوات

يا أليفاً يبكي فراق أليفٍ كلُّ بينٍ هَيْنٌ إزاء المات
تلك شمس أنارت العمرَ لـكن دهمتها مصارعُ النيِّرات
راعها الخسفُ بالبدور مُلِحًّا وذبولُ الغصونِ والزهرات
فهوت من سمائها وقضت في موكبٍ من أشعةٍ غاربات
ذهبت بالشباب والطهر والحسنِ وخـــيرِ الزوجات والأمهات
بسماء الهدى وروض الأماني ونعيمِ الهـــوى ومعنى الحياة
فإذا إلفُها المحـــيَّرُ لا يملك من أمره سوى الأنات
مرسلاتٍ على الأسى والتأسي في قوافٍ مفجوعةِ النغمات
نَدِيَتْ بالدموع فهي أكاليلُ من الزهرِ بالأسى عَطِرَاتِ
والفؤادُ المكلومُ لا يُحسن التعبيرَ إلا بساكبِ العـــبرات

حسبكَ اللهُ يا عزيزُ ورفقاً بشبابٍ نرجـــوهُ للنائبات
أنتَ من ترتجى البلادُ إذا ما حَزَبَتْها الأحداثُ بالأزَمَاتِ
إن من وَدَّعتكَ لم تمضِ حتى أنبتَتْ بعدها كريمَ النبات
فهيَ اليـــومَ حَيَّةٌ فيهم لا تأتلي من رَفَافَةِ الذكريات
فاتقِ الله فيهم وَتَقَبَّـــلْ من محبيكَ أخلصَ التعزيات

خليل شيبوب

ذكرياتي ...

للأديب مصطفى علي عبد الرحمن

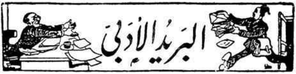
يا ليالي النورِ في صَحْوِ الشَّبابْ
ما الذي أغرى بنا كأْس العذابْ
فَشَربناها حنيناً ونوى
أتناسيتِ الذي ولّى وغَـــابْ
من نعيمٍ وفتونٍ وشراب
نتغنى كيفما شاء الهـــوى
وعيون الدهر عنـــــا غافلاتُ
نُسكر الأرواحَ منـــــا قُبلاتُ
وأناشيد الأنسَ فينـــــا صَبَوات
وكؤوسٌ كلما نادى بهـا الداعي تدورُ
ومعانٍ من رحيق الخلد يرويها البشيرُ
كلّ هذا كان يا دنيا لنا والليالي مثلما كُنَّا سُكارى
ما الذي أغراكَ يا دهري بنا فأحلتَ العُمر همًّا وادكارا
وتوارت بسمةٌ في شفتينا
وانطوى الحُلم وولى من يدينا

***

يا حبيبي هل لأيامي الخوالي عودةٌ تحيي الذي ولّى وغابْ
من أمانٍ باسمات وليالٍ كنّ أحلى من جنى الخمرِ المُذاب
فنُغنِّي مثلما كُنا نغـــني
فوق أغصان الشبابِ المطمئن
بين صفوٍ ونعيمٍ وشراب

مصطفى علي عبد الرحمن

(١) راجع مجلة الرسالة عدد ٤٢٧



إلى السيد حسن القاياتي

قرأت خطابك إليّ فوجدته دون ما يُحسُن صدوره عنك ، وإلا فكيف جاز لك التوهم بأني أقول فيك ما دوّنته بقلمك نقلاً عن أراجيف المرجفين ؟

أنا أقول إنك أديب خلقته الظروف ، وألاعيب مصطفى القاياتي في السياسة ؟

هذا كلام لا يقوله من يعرفك ، كما أعرفك ، وهو أيضاً كلام لا يقوله صديق في صديق ، وأنت تعرف جيداً أني لا أقبل إيذاء أصدقائي بمثل ما نُقِـل إليك ، ولا بأيسر مما نقل إليك ، فاقطع ألسنة الدساسين ، واحفظ ما بيننا من العهود . إحفظ أنت ، أما أنا فـكما عهدت ، ولن أتحوّل ولن أخون

ثم تطلب إليّ أن أسأل نفسي عن الصلات التي كانت بيني وبين الدار القاياتية ، وأنا أوجه مثل هذا السؤال إليك ، فـما أظنكم عرفتم رجلاً أصدق مني ، ولا أحسبك تنسى أني أديت للشيخ مصطفى جميلاً يفوق الوصف ويفوق الجزاء ، وهو جميل سجلته أنت بقلمك في مجلة الـكشكول سنة ١٩٢٤ بإمضاء « المَعْوق » يوم كان إيذاء الشيخ مصطفى من هواك

أينـا أوفى لذكرى هذا الرجل : أنا أم أنت ؟

لو نطق التاريخ الأدبي لقال إني لم أكن راوية يوم عرفت داركم ، وإنما كنت أستاذاً يساعد على خدمة أدبية تعرفها الجامعة المصرية ، يوم اختارت الشيخ القاياتي خلفاً للشيخ المهدى

وتقول إنك أعددت عشرين مقالاً في نقد كتاب « النثر الفني » وأنك ستنشرها في الرسالة إن ضمنت أنها لا تجاملني ، وأنك تنتظر مني كلمة الحق

وأقول إن الرسالة لا تجامل أحداً ، فقدِّم إليها في نقدي ما تريد . ثم أقول إن هذه الـكلمة هي كلمة الحق ، فانقضها إن كنت تطيق

وجاء في كلامك أن لي في الأدب ألاعيب وتُرّهات ، فمتى كان ذلك ؟

أنا يا صديقي لا ألهو في الأدب ولا ألعب ، فجِدُّ الأدب جِدّ وهزله جِدّ ، ولا يَصدُر عن قلمي إلا ما يرضاه وجداني

أما بعـد فهذا ما تقرأ لا ما تَسمع ، فخذ عني ما تقرأ ودَعْ ما تسمع ، فما أذكر أني حادثت أحداً بالقاهرة منذ شهور طوال ، ولا أذكر أنك خطرت في بالي قبل أن تنقل إلى « الرسالة » خصامك العنيف ، يا أعزّ الخصماء

أنا ما أسأت إليك ، وإنمـا أسأت أنت إلى نفسك بكسلك .

ومع هذا تقول إن اللغة العربية لن تجد من يذود عن حماها غير قلمك ، ونحن نعرف طاقتك في البيان

توكل على الله وانفض الغبار عن نفسك الـكسال ، فقد تُصبح ولك مثلي تُرّهات وألاعيب . وليس من العسير جداً أن تكون في منزلة الـكاتب الأول والشاعر الأول .

زكي مبارك

الشعر العربي في المهجر

قرأت رأي الأستاذ الطريقي في تعليل طابع الشعر في المهجر ، وأقرب إلى المعقول هو رأي قديم لي سبق أن أبديته في مناسبات أدبية لأفراد الجالية اللبنانية بكوم حماده ، خلاصته أن هذا الأدب هو صراع عنيف بين عقليتين متباينتين : عقلية الشرق بمـا فيها من روحانية وسمو وتوكل ، وعقلية مادية قاسية لا ترحم المتواني (خصوصاً في أمريكا الشمالية حيث ظهر معظم أدباء المهجر) ، وكان نتيجة هـذا الاصطدام الحنين إلى حياة الشرق بما فيها من دعة وبساطة ، وهذا الحنين ظاهر في حياة أقطاب مدرسة المهجر ، فـكتابات جبران الإنجليزية والعربيـة تترجم عن ذلك بجلاء ؛ وكأني به يريد أن « يشرق » أمريكا قبل أن « يتأمرك » وهو وأبناء جلدته . وقد أقبل الأمريكان على فلسفته إقبالاً لا نظير له أصاب منه ثروة لا يحلم بها أديب من أدباء العالم . ومن دواعي عظمة هذا الرجل أن طبيبا عالماً من كبار أطباء انجلترا وفليسوفاً يشار إليـه بالبنان هو هاڤولك إليس كان يستشهد بأقوال جبران في كتابه العظيم « سيكولوجية الحب » ويدعوه بالشاعر النبي ، ومع هذا الجاه كان جبران يحن إلى الشرق بقلبه وروحه ويود لو أمضى بقية أيامه في وطنه بين أحضان الطبيعة . وقد فاوض ذوي الشأن في شراء دير ماري سركيس بلبنان ليـكون مقامه ولـكن المنية عاجلته وقد نقلت إليه رفاته

مثل ذلك ما فعله ميخائيل نعيمة فقد أصاب ثروة فى أمريكا ولكنه آثر الدعة والبساطه فعاد إلى وطنه وعاش فى صومعة فى جبل صنين

ومنذ ربع قرن زار مصر فيلسوف الفريكة أمين الريحانى وقال فى حفلة تكريمه قصيدته المنثورة المشهورة : « أنا الشرق عندى فلسفات » وقد طلعت علينا وقتئذ مجلة السفور تندد بأدبه ، ومع أنه نال حظاً وافراً فى دوائر الأدب والنقد فى أمريكا كان يفر إلى منسكه بالفريكة كما يهظه ثقل مادية أمريكا

هذه ظاهرة جلية لا يمكن تعليلها إلا بما أبديت من رأى .

وما أشبه أدباء المهجر بروسيا فقد أخذت من الغرب مدنيته ، ولكنها ظلت شرقية بروحها . وكان نتيجة هذا الازدواج أن أخرجت كتاباً ملهمين أمثال تولستوى ودستفوسكى وتشيخوف تفيض كتاباتهم بالروحانية

(كوم حمادة — بحيرة) **ف . ل بوسف**

عضو بالمعهد البريطانى للأبحاث الفلسفية بلندن

١ — إلى الاستاذ قطب

ألم تصدق إذن أن أعصاب الأدباء ثائرة ثائرة ؟ وهل عدوت الحق حين أشرت إليك بتلك الإشارة اللطيفة الخفيفة فحملتك الحق فيما بدر منك فى حق محاورك حين أضفته إلى سيداتنا وحبات قلوبنا « النساء » . ومع هذا فقد لمتكما معاً فيما تراشقتما به من ألفاظ السماجة والصفاقة والمهاترة والغمز واللمز ، مما كنت أجلكما عن الوقوع فيه ... لولا هذا الصيف الجائر الذى جعلك تقول فى حبيبك وصفيك — دربنى خشبة — إنه رجل عامى فى ذهنه وفى نفسه ... وفى معايير أخلاقه ! ! بارك الله لك يا شيخ سيد فى ذهنك وفى نفسك وفى معاييرك الأخلاقية ... وبارك الله لك فى هـذا اللسان الطويل العريض الذى سينعقد لمحاكمته جلسة فى المكان الذى تعرف ، ومن الأصدقاء المحترمين الذين تعرف وأعرف ، ليقفوك — أو ليقفونى ! — عند الحدود التى أنساك الصيف ، كما أنسى الكثيرين من الأدباء ، أشراطها

٢ — إلى شعراء الشباب الأماجد

إلى إخوانى المحترمين باكثير والقاياتى وفوده والعجمى ، وإلى جميع شعراء الشباب الذين سهوت فلم أذكر أسماءهم فى مقالى عن الدرامة المنظومة والمسرح أقدم اعتذارى . ولن يُنقص جهلى بجهودهم فضلهم الأدبى الذى لا يجحد . وأشكر للأستاذ الفاضل محمد عبد الغنى حسن تلك الالتفاتة الكريمة التى تدل على سمو إدراكه الأدبى ، والتى تجلت فى إشارته إلى أخى الأستاذ باكثير ذلك الشاعر المجد المجاهد الذى تفضل فكتب إلى ليرأب ما انصدع من مقالى ، ولسوف أفرغ لدرامات الأستاذ باكثير فى فصل أو أكثر من فصل إن شاء الله . وسيرى المظلومون كيف تنصفهم الرسالة فى القريب العاجل . أما الأستاذ فوده — ذلك الصديق العزيز — فأستعيذ بالله من (مقالبه !) ومع أنى أقر بفضل شاعرنا القاياتى فى المنظوم والمنثور فإنى آسف إذ لم أسمع عن درامته شيئاً . وأعود فأقول إن جهلى بها لا ينقص من قيمتها ، والقاياتى الشاعر ، وعماد الشاعر ، والنشار الشاعر والصيرفى الشاعر ، والأسمر الشاعر ، والعشرات من شعراء الإسكندرية والأقاليم ، والمئات من شعراء الإلزاميين ، ليس هؤلاء وهؤلاء فى حاجة إلى الإشادة بذكرهم فى مقال لم يقصد منه إلى الحصر ولكن قصد منه إلى التمثيل ... وأوشكت هنا أيضاً أن يفوتنى ذكر الشاعر السيد قطب فتسودُّ معى وقعته أكثر مما اسودت ، وهو الشاعر الذى أحب شعره جدا بمقدار ما أمقت نثره جداً ... متى يا ترى ينهض هؤلاء الشعراء جميعاً بحمل أعباء نهضتنا الشعرية وتزويد هذه النهضة بالدرامات والملاحم ؟

٣ — إلى أخى الأديب كمال نشأت

يا أخى لقد ظلمت فى كلمتك بيئتنا وظروفنا وأحوالنا وأغلبية شعبنا الذى لم تستثن منه الأقلية المتنورة ... ولقد ظلمت أيضاً ممثلينا جميعاً فلم تستثن منهم أحداً حين رميتهم بالأمية الشنيعة . يا أخى لقد ألف شوقى رحمه الله دراماته فأقبل الشعب بجميع طبقاته على شهودها وسر منها وتقبلها أحسن القبول ، والذين مثلوا تلك الدرامات أحياء غير أموات ، وقد بلغوا بتمثيلها الذروة . ولم يكونوا يلحنون أبداً ، ولم يكونوا يكسرون الشعر قط ، ونحن حين ننكر عليهم تلك الإجادة نظلمهم ونبخسهم بطولاتهم التى لو ظهرت فى أمة أخرى لرفعتهم إلى عليين ولأقامت لهم التماثيل : .. يا أخى يحسبك ما يشق به

ممثلونا من شقاء مادي فلا تُنكل بهم تنكيلاً أدبياً ... يا أخي لا تنكر أن ممثلينا يوسف وهبي وأحمد علام وزكي طليمات وحسين رياض وفتوح نشاطي وأمينة رزق ونجيب الريحاني وعبد الفتاح القصري ومختار عثمان وفاطمة رشدي وأنور وجدي وغيرهم ممن تضيق تلك الكلمة عن إحصائهم ... أولئك الممثلون الذين لا نعرف كيف نجزيهم وهم لا يقلون عبقرية عن أحسن الممثلين العالميين . لقد ذكرت في إحدى مقالاتي أن نسبة المتعلمين في انجلترا في عصر إليزابيث لم تكن تزيد عنها في مصر اليوم ، فلم يمنع هذا من ظهور شكسبير وبن جونسون وأضرابهما ، ولم تمنع من ازدهار المسرح الإنجليزي الذي كانت كل دراماته شعرية في ذلك الحين ... يا أخي لا تكن ظالماً وأوص من حولك بالإحسان إلى الممثلين

دريني خشبة

إلى الأستاذ ...

إلى هذا المجهول العلَم الذي تفضل فنشر بالرسالة (عدد ٥٢٩) كلاماً على لساني موجهاً إلى الأستاذ دريني خشبة حول مقاله : « المسرح المصري والدرامة المنظومة »

أما آرائي في بحوث الأستاذ خشبة فأحسب أن ما بيني وبينه من أواصر الصداقة والود يجعلني أوثر مشافهته

وأما أن يتفضل كاتب كريم فيذيل كلاماً باسمي وعنواني لم أقله ، ولم أجرِه ، فقد مضى زمن — وما يزال — وهذه البراعة المبرقعة حياء في خدمة الكرام الكاتبين ، وما كانت يوماً بحاجة إلى عون سواها للتعبير عن رأى لصاحبها ، أو فكرة لحاملها

وأتقبل بشكر وسرور هذه المداعبة الظريفة . وإلى اللقاء .

(المجمع اللغوي) علي نوره

بين الشيخ شاكر والسيد رشيد

ذكر الدكتور مبارك في كلمته التي نشرتها الرسالة بالعدد (٥٢٣) عن روح الشيخ رشيد أن فضيلة الشيخ محمد شاكر (كتب) إلى الشيخ محمد عبده يدعوه إلى كف يده عن رعاية الشيخ رشيد رضا ، فكان جواب الأستاذ الإمام : « كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار وهو ترجمان أفكاري »

وقد ذهب الدكتور إلى أن الشيخ شاكر إنما فعل ذلك لخصومة بينه وبين السيد رشيد ، ثم أخذ يعلل هذه الخصومة ويبين ما كان عليه هذا الشيخ من العنف وشدة العداوة الخ

ولكن الأمر يرجع إلى غير ما ذهب إليه الدكتور . ذلك أن الخديو عباس كان قد غضب على السيد رشيد لأمور لا نطيل بذكرها ، فكلف بطرس غالي باشا والشيخ شاكر لكي يسعيا لدى الأستاذ الإمام في أن يبعد هذا السيد عنه ، فكان جوابه لبطرس باشا : « إذا كنت رجلاً ذا قيمة في الوجود فإنما ذلك بأخلاق لا بوظيفة الإفتاء ولا بغيرها ، وأي خلق يكون لي إذا تركت صحبة السيد رشيد لأجل الخديو ؟ إن هذا الرجل متحد معي في العقيدة والفكرة والرأي الخ . وكان جوابه للشيخ شاكر تلك الكلمة المشهورة .

هذه هي الحقيقة نبينها للناس وما كان بين الشيخين الجليلين ـ شاكر ورشيد ـ إلا كل محبة وولاء . ورحم الله شيوخنا جميعاً

(المنصورة) محمود أبو رية

تصحيح التصحيح !

متى كان الطعن في شخص الكاتب كافياً لهدم ما قال ؟ أليس الأحرى بالأستاذ قطب أن ينصرف إلى الرد على الأقوال بدلا من الطعن في الأشخاص ؟ إن الأستاذ قطب يقول عن زكريا إبراهيم : إنه لا يعلم له أو عنه شيئاً ، فهل نسى الأستاذ قول القائل : « لا تنظر إلى من قال ، ولكن انظر إلى ما قال ؟ » ألا فليعلم حضرة الأديب الفاضل أنه ليس يضيرني أن لا يعرفني مثله ، فأنا لا أحفل بمعرفة مَن هو عند نفسه أكبر من نفسه ! ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه !

ولست أدرى بعد ذلك هل من قواعد المدرسة الحديثة أن يعلن الإنسان عن نفسه على حساب الأدب ، فيقول في جرأة غريبة إن في نثره « معاني كبيرة ، وأحاسيس عميقة » . . . إلى آخر تلك الصفاقة الغريبة التي تفيض بها أيضاً مقدمة ديوان « الشاطىء المجهول » ؟ ! أما الجواب فهو عند الأخلاق الجديدة التي يضعها (لأول مرة) أستاذنا قطب ، هادما فيها التواضع الاصطلاحي الكاذب ! . . . والرد حاضر أيضاً : فإن التواضع الذي ندعوك إليه ـ يا سيدي ـ ليس معناه أن ينزل الإنسان عن مستواه ، وإنما معناه أن ينزل إلى مستواه !

زكريا إبراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)